التعليم ليس مهنة فقط!

رانية جمال مطير

رانية جمال مطير

يمر كل طالب بمواقف عدة في حياته، حيث تترك أثراً كبيراً في نفسيته، أكان هذا الأثر سلبياً أم إيجابياً.

وقد مَررت بالعديد من المواقف لا أزال أذكرها إلى اليوم. عندما كنت في المرحلة الابتدائية، كانت معلمة اللغة العربية صارمة وشديدة، وتتصف بالجدية إلى أقصى درجة، ولم أذكر أنها ضحكت مرة، أو أني رأيتها تحضن طفلة في الصف، وكل ما أذكره لها حصص الإملاء، فعندما كانت تملي علينا النص أو الكلمات، كانت تصيبني رهبة كأنه يوم الميعاد، وكثيراً من الأحيان لم أكن أكتب شيئاً خوفاً منها، أو رهبة من الكلمات والأحرف التي تلقيها علينا، لا أدري، لكن هذا كان له أثر كبير في نفسي، فقد علق بذاكرتي منذ طفولتي إلى يومي هذا، إلى أن وصلت بي الأيام لاختيار مهنتي المستقبلية، فاخترت مهنة التعليم، وبخاصة تدريس المرحلة الابتدائية (الأطفال).

هنا يستوقفني موقف آخر عندما كنت في المرحلة الإعدادية؛ كانت طالبات الصف يلعبن بصوت عالٍ في داخل الغرفة الصفية، ويتحدثن معاً، ويضحكن في ذلك اليوم. دخلت مديرة المدرسة إلى الصف، وقبل أن تصرخ بنا تجمدت الطالبات في أماكنهن، وعند رؤيتها لم نستطيع الحراك أو التحدث، فقد بدأت تسأل وتصرخ بنا. وهنا أسأل: لماذا تحمل شخصية المديرة هذه الصفات: الصرامة، الشدة، الصوت المرتفع والمرعب ...؟! ألا تستطيع أن تكون شخصية لطيفة وبشوشة وتقود المدرسة بنجاح؟!

وعندما أنهيت دراستي الثانوية، وعلى الرغم من حصولي في التوجيهي العلمي على معدل مرتفع، فإنني فكرت في التدريس ومهنة التعليم، وبخاصة تدريس المرحلة الابتدائية، فالتحقت بالجامعة وتخصصت في التربية الابتدائية.

لقد كان لهذا الاختيار نابعاً من اقتناعي، وليس فقط مهنة مستقبلية أعتاش منها. وحملت مع هذا القرار آمالاً وأفكاراً سوف أوصلها إلى هؤلاء الأطفال، من خلال العمل معهم بحب وحنان، فالطالب ليس كل ما يحتاج إليه أحرفاً وكلمات وأرقاماً فقط، فهو يأتي إلى المدرسة، وبالأخص إلينا (المعلمات، المدرسين)، حتى نعزز فيه الأمل ونساعده في بناء شخصيته، وحتى نعده إعداداً صائباً عملياً ونفسياً وتربوياً، فهو من سيقود مجتمعنا ومستقبلنا.

العصى لن تفعل الكثير، فتأثيرها مؤقت، ولكن الكلمة سوف تغير عميقاً في نفوس الطلاب وتبقى معهم إلى آخر مشوارهم. فمع أول موقف تعليمي تعرضت إليه وأنا أقف أمام الطالبات، رسمتُ الابتسامة والأمل على وجهي، ولن أمحوهما. لا أريد أن تخافني طالباتي، بل أن يحترمنني، ولا ينسين مواقفي الحسنة. وليس كما حدث معي، فالطالب له رهبة كالمدرس والمعلمة، ويجب على المعلم أن يكون مستعداً حتى يستطيع العطاء من جميع الجوانب، فلماذا أدخل الحصة بكشرة وصوت مرتفع يضيع معهما هدف الدرس من شدة خوف الطالبات مني، وانشغالهن بي وبما أفعل.

يستطيع كل معلم ومعلمة فرض شخصيته/ا بأسلوب رائع ولبق، فكلنا نتقن مسك العصى من المنتصف، وهنا يظهر إبداع المعلمة بين الشدة والين.

مدرسة بنات رافات الثانوية